المصدر: الاهرام
التاريخ : ٢٠٠٠/٦/١٠

## مع رحلة العائلة المقدسة

# أقباط مصر وبنية الحركة الوطنية السودانية

د. بشير البكرى
مفكر سودانى

يعتقد السودانيون ان هجرة المسلمين الأولى بل والثانية كانت إلى بلادهم، وقد اكد ذلك فى مؤلفاته صاحب القلم الصوفى الرفيع الشيخ «د. حسن قريب الله» رئيس الجامعة الاسلامية بام درمان سابقا ومؤلف الدراسات ورئيس الطريقة السمانية. كما اكده الدكتور الشاعر عبدالله الطيب، وكلاهما من الأعضاء الخالدين فى مجمع اللغة العربية بالقاهرة..

وهناك من يدعى ان «مجمع البحرين» الذى وجد فيه «موسى» الخضر عليه السلام كان المقصود به ملتقى النيلين عند الخرطوم، حيث يسير النيل الأزرق إلى جانب النيل الأبيض فى لونين متباينين لمدة طويلة قبل أن يلتحما نيلا واحدا..

ولئن لم يزعم السودانيون بعد ان مسيرة العائلة المقدسة وصلت إلى الخرطوم حيث اقامت جماعة «سان سيمونيا» Se Semonia، اقول لئن لم يثبت هذا بعد، فقد ثبت أن «اقباط مصر» وصلوا هناك بثقافتهم وديانتهم وانهم ومنذ القدم لعبوا دورا كبيرا فى «مسيرة الحركة الوطنية السودانية»، واننى قادم من الخرطوم منذ أيام، وقد تهيا لى أن أشهد مثوى «مطران الخرطوم» الأب والحبر الكبير «دانيال» فى كتدرائية الخرطوم القبطية، وحيث ذهبت عاصمة البلاد جميعها ومن بعض أنحاء السودان يودعون المطران السودانى المصرى إلى مثواه وقد كان الأب دانيال مجسدا بحق دور أقباط مصر فى وحدة السودان، ولما توفاه الله فى لندن وأرادت الكنيسة ان تحمله فى طائرة عادية إلى الخرطوم حيث يدفن المطران، رفضت حكومة السودان وارسل رئيس الدولة طائرة خاصة جاءت بجثمان الأب الكبير إلى الخرطوم.

بريشة : سهير الكيلانى

www.ethraadl.com
إثراء المعارف الرقمية

ولاول مرة منذ نشب النزاع بين «البشير» و«الترابى»، وقف كل منهما فى الكنيسة القبطية يلتقيان عند احترام هذا «الاب» الذى يمثل فى نظر السودانيين تجسيدا مقدسا لما صنعه أقباط مصر فى السودان، حيث تغلغلوا فى نسيج الحركة الوطنية وحيث لعبوا الأدوار الكبيرة فى تاريخ نوادى الخريجين التى أعطت السودان من رحمها «مؤتمر الخريجين» قاعدة الحركة السودانية الصلبة، وكان مثلا «عبده مينوس» من أبكار خريجى السودان من أقباط مصر وغيره وغيره من الأطباء «حبيب راديب» ومن رجال القانون «هنرى رياض» ولبيب سوريال، ومن المهندسين الذين اشرفوا فيما بعد على مناصب القيادة فى «زامبابوى» روديسيا سابقا، وغيرهم من الزراعيين «وديع حبشى» الذى كان أول سودانى يتولى وزارة الزراعة فى السودان بعد خروج الانجليز وبمناسبة «وديع حبشى» الذى ينتسب إلى أسرة «بولس» المعروفة فى السودان وفى حى من احياء أم درمان، حيث لجا أحد الصالحين واراد ان يقيم «خلوة للقرآن» فتقدمت له هذه الأسرة بالمكان وسميت فيما بعد «خلوة بولس» والخلوة فى السودان هى صنو «كتاب» القرية المصرية حيث يدرس القرآن فقط..

إن أقباط مصر حملوا إلى السودان «التعليم المصرى» وبدات مدارسهم فى ١٩٢٢ مواكبة بذور الحركة الوطنية السودانية سنة ١٩٢٤. وعلى اثار ثورة مصر فى ١٩١٩ التى تعانق فيها الهلال والصليب وكل ذلك موروث قبطى فى حركة مصر والسودان الوطنية.. كذلك قامت ثورة السودان الا أن الاقباط مصر دورا جوهريا آخر إضافيا فى الحركة الوطنية السودانية، فبينما جاء المبشرون من كاثوليك وبروستانت إلى جنوب السودان ومهد لذلك حكومة بريطانيا المستعمرة، وقف أقباط مصر مع وحدة السودان لعبوا دورا هاما فى وحدة البلاد معاكسا لذلك الدور الذى لعبه مبشرو الجنوب من كاثوليك وبروستانت فى محاولة الفصل بين الجنوب والشمال فى السودان، كذلك لعب أقباط مصر دورهم فى وحدة السودان ولم يستمعوا إلى اغراءات المستعمر وهو يحاول أن يمنحهم الوظائف والمراكز الهامة فى الادارة السودانية فى مرافق النقل والاتصالات مثلا، وعلى العكس فقد لعب اقباط مصر مع اخوانهم من السودانيين فى هذه المرافق دور الموصل والناقل لنبت الحركة الوطنية واسرارها فى ابانها الأول، ثم المشاركة مع الزعماء السودانيين فيما بعد دون تفرقة أو انحياز فكان من الأقباط «الختمية» الذين انتموا إلى زيادة الزعيم الميرغنى الكبير ووجد فيهم ابنه المعظم محمد عثمان الميرغنى خير عون عند انشاء أول بنك اسلامى سودانى فى الخرطوم، فاشتروا اسهمه وشاركوا فى مجلس إدارته وهم من غير المسلمين.

www.ethraadl.com
إثراء المعارف الرقمية

كما قدمت ان اقباط مصر كانوا من اول من نقل التعليم المصرى إلى السودان وقامت مؤسساتهم معتمدة على اموالهم الخاصة بانشاء المدارس وقامت اول كلية قبطية فى الخرطوم واذكرانني من اول خريجيها حيث كنا نؤدى امتحان الشهادة الابتدائية فى أسوان، وشهادة الكفاءة فى سوهاج واخيرا شهادة البكالوريا فى اسيوط ، الذى ادى بنا للالتحاق بالجامعة المصرية ، اولا وجامعة القاهرة ثم كل جامعات مصر ومعاهدها.... ولعب التعليم المصرى دوره الكبير فى الحركة الوطنية السودانية ، واشترك آلاف من السودانيين اقباط ومسلمين فى هذه الحركة التى قادها مؤتمر الخريجين وتراس لجنة المؤتمر الفرعية ولجنة التعليم فى القاهرة برئاسة الزعيم الكبير على البرير ونصب التاجر المشهور« محمد احمد البرير» مصريا كما نصب « فؤاد اباظة باشا» سودانيا، ولعب اقباط مصر دورهم الكبير فى هذا المجال المهم من تعليم السودانيين، وادت هذه الحركة الى ان تغير حكومة السودان البريطانيه من ادوارها فتهتم بالتعليم وتبعث البعوث الى لندن حتى لا يبعث بهم اهلهم الى مصر وجامعاتها...

واشترك اقباط مصر فى الحركة الثقافية فى السودان وقامت المؤسسات التى تسمى « المكتبة القبطة» بدورها الثقافى وكان مركزها فى الخرطوم ملتقى الشباب السودانى والمصرى المثقف... بل اننى اذكر ان اول حركة مسرحية فى السودان كانت فى مسارح المكتبة القبطية ومسارح كل الاقباط في الخرطوم ولاننس الدور الذى قام به الشاعر عزيز اندراوس وصبحة من نشر المدرسة الحديثة فى الشعر...

وعمل اقباط مصر في الطب والمستشفيات ومراكز البحث الطبى فى السودان، وديع جيد، لبيب وحبيب والمروضة الكبرى هلبس وغيرها وغيرها...

كما عمل اقباط مصر فى التجارة ، وخصوصا تجار النسيج من بلدة « نقادة» الذين تخصصوا فى نسيج خاص بالسودان يسمى « الفركة» «والزراق» وغيرها ولعب هنرى جيد عميد تجار مصر والسودان دوره الكبير فى توثيق العلاقات التجارية بين مصر والسودان والتى كانت طريق التجارة الخارجية للسودان الى العالم ...ومازال اقباط مصر، يملأون احياء تجارية وسكنية سميت باسمائهم فى ام درمان « المسالة» وفى الخرطوم ، وذهبوا الى الكثير من بلاد السودان النائية فى الجنوب او جبال النوبة وكذلك بدأ الزراع منهم الزراعة الميكانيكة فى شرق السودان وعرفت اسرهم الكبيرة فى القضارف وكسلا وبورت سودان حيث اسست اسرة « بطرس غالى» اول مصنع لعصر الزيوت فى الميناء السودانى الكبير...

www.ethraadl.com
إثراء المعارف الرقمية

وكان هذا مقدمة لصناعة سودانية كبيرة ازدهرات فيما بعد، ان اقباط مصر لم يشعروا فى يوم من الأيام الا انهم من السودانيين، وحتى كنيسة الخرطوم كانت دائما حريصة على ذاتيتها السودانية برغم انتمائها الى كنيسة الاسكندرية .

وبعد ، هذا قليل من كثير من المورث القبطى فى تاريخ السودان، ذلك التاريخ الذى عرضه متحف السودان المركزى فى الخرطوم والذى خصص دورا من مبانيه فى الآثار والفنون المسيحية فى السودان لم يخصصه لدين آخر...

وبعد لقد عرف السودان المسيحية قبل الاسلام ، ولكن الاسلام والمسيحية هناك كانت لهما ذاتية فى تاريخ البلاد، وكان كل هذا امتدادا لتاريخ وادى النيل من ممالك كوشة ونبتة ومررى ثم «المعلا» و«سوبا»

وفى مناسبة احتفاليات الاسرة المقدسة فى شمال الوادى وددت ان اسجل هذه الذكريات التى تؤكد جميعها وحدة وادى النيل.

ذلك أن اقباط مصر لعبوا دورا مهما فى بنيتها..

ويواصل أقباط مصر هذا الدور الذى يتولاه هذه الأيام الاديب المصرى السودانى الكبير «ميلاد حنا» صاحب جائزة «سيمون بوليفار» والذى اتخذ من منبر «الاهرام» العظيم وغيرها احياء « لهذا الدور».

والذى يرقبه السودانيون كما يرقبه المصريون، كما عنى به عناية خاصة الزعيم العربى محمد حسنى مبارك ومشاركة الزعيم الليبى القذافى فيما اصبح معروفا بالمبادرة المصرية - الليبية والتى تنتظر جميعا ان توقف حرب الجنوب وان تلم شمل السودانيين فى وحدتهم الكبرى مع مصر.

www.ethraadl.com
إثراء المعارف الرقمية